

الخانن

قصة كؤبية بقلم سيزار ليانت

وتحركا ليخرجا ، لكن ايزابيلا بادرتهما الى العتبة :
- انتظرا من فضلكما . لقد نسيت . أي مركز سيحضر اليه زوجي ؟
- آه ، هل هو زوجك ؟
- نعم .

قال الشرطي وهو يحماق في الطفلة من جديد :
- رقم ١٢ .

وذهبا .. . كان صوت عجلات السيارة يرتفع وقد خلفت الفيار وراها . أما ايزابيلا فكانت تنظر الى الناس وهم مكومون يحدقون فيها بصمت أمام أبواب دورهم بين أشجار الرند التي تقف دون أدنى حركة ، منتصبه على جانبي الطريق . وانفلقت الباب ودخلت لتأخذ مكانها في الغرفة وقد نضح جسمها بالعرق الذي عرفت انه ليس من جراء شدة حرارة هذا الصباح الصيفي .

قالت الطفلة وهي تأخذ بيد أمها :
- ماما ، ماما .. هل ذاك الرجلان شرطيان ؟

- نعم ..
- وماذا يريدان ؟
- لا شيء .

ثم أحتت الطفلة بين ذراعيها وانجهدت نحو المطبخ . كانت تجيب على أسئلتها في هدوء وهي تبشر جوابها ما أمكن . وعندما عاد زوجها اثناء الغداء ، كانت تنظر اليه كثيرا . وكان يبدو هادئا باسمه كالعادة وكان شيئا لم يحدث . وداعب طفلته ردا من الوقت ثم أخذ له دوشا . وحملت اليه ايزابيلا ثيابه حيث وقفت على عتبة غرفة الاستحمام وهي تمد له المنشفة . ولبتت تنظر اليه وهو ينشف جسمه من الماء . لم يكن غليظا ورغم ذلك فقد كانت عضلاته متسقة ، وصدرة عريضا ، وساقاه طويلتين . كانت تحديق فيه ببساطة . وعندما أراد أن يمازحها سألتها اذا كان يعجبها وهو عار . فقالت له محاولة اخفاء اضطرابها ومنمه من الذهب :
- « البرتو » .. .

لكنه أمسك بذراعيها وجذبها اليه ليقبل شفيتها في رفق . فأحاطت هي عنقه بذراعيها ، وردت له القبلة بحرارة . وتبعته داخل الحجرة ، ووقفت على مقربة منه وهو يرتسدي ثيابه . ثم جلست على السرير وطفقت تنظر اليه . وعندما كان البرتو يسألها لماذا تبدو متفيرة اليوم كانت تجيب وهي تبسّم في وهن بان لا شيء قد وقع البتة . وعندما وقف الى المرأة يمشط شعره كانت هي تأمل صورته ذات الجبين العريض والانف الكبير والشفتين الدقيقتين .

لطالما سألها - مازحا - كيف استطاعت ان تحبه . وكانت انذاك تجيبه بأنها لا تعرف كيف تم ذلك ، وينتهي حوارهما المعتاد بالضحكات الصاخبة وبالقبل الدفيئة .

لما انتهى البرتو من تسريح شعره جلس على حافة السرير ليعالج فردتي حذائه . وكانت ايزابيلا تحديق فيه باستمرار ، ثم قالت في تلثم وتردد :

- البرتو ..
- ماذا ؟

ولد سيزار ليانت عام ١٩٢٩ بماناراس ، وهو يعمل الان صحافيا . وقد نشرت له قصص قصيرة على صفحات عدد من المجلات والجراند ، وكتب مؤخرا هذه القصة « الخانن » التي نشرتها مجلة « كارنلس » .

قفزت من مكانها في هلع عندما ناهى الى مسمعا صوت احتكاك عجلات سيارة ما بارض انشراع الصليحة ، وازداد هلعها عندما رأت عبر النافذة سيارة الدوربة وقد توفعت كي يغادرها شرطيان وهمسا يصفقان الباب خفهما . كان أحدهما يعلق على كتفه رشاشا ، وقد بدأ نحيفا ذا جسم قصير ، يعلو شفتيه شاربان خفيفان اسودان ، وكان الاخر يبدو كبير السن والجسم معا . ولما صعدا درجات السلم وأخذوا يطرقان الباب ترددت ايزابيلا في فتحه لان الخوف استبد بها ، فلما ازدادت الطرقات لم تجد بدا من أن تفتحه .

قال الشرطي الكبير : - مساء الخير .
فردت عليه التحية بصوت مضطرب رغم محاولتها اخفاء الاضطراب .

وأضاف الشرطي الكبير - بينما كان صديقه ينظر داخل البيت من خلال الباب شبه المفتوح - :
- هل البرتو هرنانديز يقطن هنا ؟
أجابت بعد فترة غير يسيرة :
- البرتو هرنانديز ؟
- نعم . هل يسكن هنا ؟
- نعم ..
- هل هو الان موجود ؟
- لا ..

وكان صوتها انذاك أكثر ثباتا .
أما الشرطي فقد طفق يفكر كما لو كان في هذا الجواب مشكلة صعبة يتعين عليه حلها .

أما الاخر فكان لا يزال يشرب بعنقه الى الداخل ، وهو يزن بعينيه ايزابيلا ذات الوجه الجميل الملامح . وتمتم الشرطي الذي كان يفكر :

- حسنا . قولي له عندما يعود بان يحضر الى المركز رقم ١٢ .
وتساءلت ايزابيلا بصوت مرتعش :
- ولماذا ؟

- لا أدري . القبطان يود أن يراه .
وفي هذه الاثناء كانت طفلة صغيرة في السادسة من عمرها تتمسك بشباب المرأة .

قال الشرطي وهو ينظر اليهما أمامه :
- لا أدري لماذا يود أن يراه يا سيدتي . اننا لم نكلف مسوى بأخذها الى المركز او نرك كلمة له بالحضور اذا لم يكن موجودا .
والتفت الى صديقه :
- هيا بنا !

وداعب خديها وقال لها بالا تحزن ، وأن تمدد الطعام على المائدة .

كانا ياكلان بصمت ، ولما وقف البرتو واتجه الى الباب ، تمته ايزابيلا . ولينا برهة تحت السقيفة .
- هل أنت ذاهب الى العمل ؟
- لا ..

- الى مركز الشرطة اذن ؟

- نعم ..

كانا يتحدثان في عسر وكان الكلمات تتطلب منهما جهدا . وكانا يتحاشيان النظر الى بعضهما . وأضافت هي :

- أنا لا أحب أن تذهب .

- من الواجب أن أفعل .

وصمتت قليلا ثم قالت :

- أخبرني بمجرد ان تكلم القبطان . عد الى البيت او تلفن لي .

- سأتلفن لك قبل بدء العمل .

- أفعل ذلك . لا تنس . لان روعي لن يهدأ الا اذا كلمتني .

فابتسم لها وشد على يدها بحرارة ثم خرج . وتبعته بنظراتها وهو يختفي كما كان يفعل أبدا في الايام الماضية ، بل في السنوات الماضية عندما كانت تقف كما تقف الان ترقبه وهو في طريقه الى العمل الذي لم يكن منجها اليه الآن . وكانت يدها تعصران خشبة المدخل عندما صفت الريح باب الشارع بقوة .

كانت الساعة الثانية وهي جالسة قرب آلة التلفون تنتظر مكالمه زوجها ، واقتربت منها طفلتها وفي يدها دمية صغيرة وقالت :

- ماما ، غيري لي ثوب دميتي لاني لا أستطيع ذلك .

فاد تجابت الام . وعندما انتهت من ذلك انفجرت الطفلة ضاحكة . فتساءلت ايزابيلا بفضول :

- لماذا تضحكين ؟

- لانك البست الدمية الثوب معكوسا !

فابتسمت ايزابيلا وأصلحت خطاها . وذهبت لتنتظر الساعة في الفرفة المجاورة . كانت تشير الى الثانية وعشرين دقيقة . ولما مرت أمام المرآة لاحظت ان وجهها كان يبدو شاحبا . ودق جرس التلفون اثناءها . وهبت اليه ايزابيلا لتتلف السماء . وقالت بألم وهي واثقة من انه صوته :

- ألبرتو ..

لكنه لم يكن هو . فقد كانت أمها هي التي تخبرها وتساها اذا كان بإمكانها أن تزورها مساء . فأجابتها ايزابيلا بالثفي ، ووضعته السماعه بأسرع ما وسعها . ودق التلفون مرتين ثابيتين . كانت المرة الاولى خطأ ، وكانت الثانية من صديق لالبرتو يرغب في الحديث اليه . ولما دقت الساعة الرابعة قررت أن تتلفن الى مكتب زوجها . ودق الجرس كثيرا قبل أن يتناهي الى مسمعه صوت رجل :

- اني أستمع ..

- من فضلك أريد أن أكلم ألبرتو هرنانديز .

- لم يأت الى العمل ..

- ألم يات ؟

- لا ..

وتملكتها رعشة مثل التي أحستها قبل ساعات عندما رأت الشرطيين . وبعد نصف ساعة من هذه المكالمه تلفنت مرة أخرى الى المكتب . لكنها كانت تسمع نفس الجواب « ألبرتو لم يات الى العمل » ..

وخرجت ايزابيلا الى الشارع . كانت الريح تهز أشجاره وتنفذ بالفبار عبر الفضاء . ورغم ذلك فقد اتخذت قرارها ، اذ البست طفلتها ثيابها لتبتمها الى أمها . وركبت سيارة أجرة الى المركز رقم ١٢ .

وهنا طلبت القبطان ، لكن جاويز الحراسة أجابها بأنه غير

- كيف ..؟ كيف هو سير العمل ؟

- جيد . كما هو الشأن دائما .

- ألم يحدث لك شيء هناك ؟

- لا .. لماذا ؟

- لا شيء .

فحول وجهه اليها وحدق فيها :

- هل حدث شيء ؟

- لا .. (أجابت وقد حولت عينيها عنه) .

فأمسك بكفيها :

- أنظري الي .. ايزابيلا .

كانت تتحجب وهي تحكي له ما جرى ، أما هو فقد قال :

- ربما كانوا على خطأ . انا لا أدري لماذا يرغب القبطان في

رؤيتي .

- هل تنتهي الى هيئة ثورية ما ؟

- لا ..

- قل لي الحقيقة .

- لا ..

- والحزب ؟

- أنت تعرفين اني ابتعدت عنه طويلا .. تعرفين ذلك .

ولينا صامتتين بضع نوان ، ثم قالت :

- ما العمل اذن ؟

- يجب أن أذهب الى المركز .

- أليس في ذلك خطورة ؟

- سيكون أخطر اذا لم أذهب . لانهم سيظنون انني أنتمي الى

هيئة ما ، ولذلك فسيأبون ليأخذوني بالقوة .

- ولكن ماذا يريدون منك ؟

- لا أدري . ولكن القبطان سيقول لي ذلك .

قريبا :

الشوارع العارية

واحدة من ارووع الروايات الايطالية المعاصرة

تأليف

فاسكو براتوليني

ترجمة ادوار الخراط

ممشورات دار الاداب

– لقد قلت لك يا سيدتي ان القبطان جد مشغول ، ولا يمكن ان يقابلك .
– أبتهل اليك .

– لا تلحي يا سيدتي فانا لي أيضا أشغالي .
واستمرت ايزابيلا في ابتهالاتها بدون جدوى . وكانت تنتحب عندما امسكها شرطي وأخرجها .

كانت تضرب في الطرقات على غير هدى حتى دخلت مقهى لتتلفن منه الى مكتب زوجها ومنه الى بيتها . لكن ذلك لم يجدها في شيء .

وعندما خرجت من المقهى وأشارت الى سيارة الاجرة أن تقف كانت أضواء الانارة العامة والسيارات والنيون تسطع بقوة . وعوضا من أن تتجه لتأخذ طفلتها توجهت الى بيتها مباشرة ، وأدخلت المفاح في ثقب فقل الباب . كان البيت غائما في الظلمة . ولم تشمل المصباح وانمسا اكتفت بان تجلس ضائفة وسط الظلام . وكانت تنادي « البرتو .. البرتو » وهي تذرف الدموع مدرارا . انجبت كئيبا ثم هدأت هدوا غريبا ومفزعا . وعندما دق جرس الهاتف هبت اليه مسرعة وكأنها لم تكن تنتظر غيره . ووففت لتجيب في توان ووهن . وكان صوت – ظنت انه سبق لها سماعه – يكلمها في الطرف الاخر من الخط :

– اسمعي لي يا سيدتي . لا أستطيع أن أقول لك من الكلام . ولكنني أود أن أقول لك ان زوجك مات بعد ظهر اليوم . لقد حاول أن يفر عندما كانوا يأخذونه الى المركز رقم ٥ . مات تحت فوهة السلاح . فاذا كنت ترغبين في رؤيته فان جشته رهن اشارتك الان . وأخذت ايزابيلا في الصراخ والمويل . وكان وجهها بين يديها قد تبلل بالدمع . ثم خرجت كيما تسترد جثة زوجها .

ترجمة : محمد زفراف

الرباط

صدر حديثا

مناهج النقد الادبي

بين النظرية والتطبيق

تأليف

ديفيد ديتشمس

ترجمة

الدكتور محمد يوسف نجم

الثنى مجلدا ١٢ ليرة لبنانية

٦٤ صفحة

يطاب من دار صادر

ص. ب ١٠ بيروت

ومن جميع المكتبات

موجود . فطلبت زوجها فلم يستطع أحد أن يدلها عليه . وسألت أخيرا اذا كان بإمكانها أن تنتظر مجيء القبطان . فأجابها الجاويش بان تنتظر على المقعد اذا كانت ترغب في ذلك . وجلست على مقعد بارد مسن الجرائيت . ولبثت دون حراك وقد انضم ساقاها الى بعضهما بشدة ، وكانت رائحة رطبة تفزو خياشيمها . كما ان حبات الجرائيت كانت تعكس لون ألبسة رجال الشرطة الزرقاء الذين كانوا يدخلون ويخرجون باسمرار . أما أرض المركز فلم تكن سوى بساط انطرحت فوقه بقع صفراء وبنية لان رجال الشرطة كانوا يصفقون ويلقون بأغقاب سجاثرهم على الارض دون أي حرج . وعن يمين المدخل كان هناك رواق يؤدي الى اقصى المركز ، اما عن اليسار فقد بدا باب كئيب عليه « قبطان » . وكان في الزنزانة المقابلة معتقلا تحاشت ايزابيلا النظر اليهما . تعلق أحدهما بالقضبان وهو يتابع كل ما يحدث في المركز بنظارة . أما الاخر فكان منطرحا على مقعد وقد غطت ذراعاها وجهه والنسوت احدى ساقيه على الاخرى . وكانا يرتديان ثيابا وسخة . أما المتعلق بالقضبان فكان ذا لحية لم تحلق منذ عدة أيام . وكانت عيناه حمر اويسن .

وتساءلت ايزابيلا عما اذا كان زوجها في هذه الزنزانة . لكنهما طردت بسرعة هذه الفكرة « لا يلقى هنا الا خارقو القانون اشترك » . وبينما كانت تنظر لمحت شرطي سيارة الدورية وهما يخرجان مسن المركز ، فعرفت الرجل الكبير الذي كلمها قبل ساعات . وقد رأها بدوره لكنه نفاها بعدم رؤيتها . ولما وففت تحاول أن تكلم معه كان قد غادر المركز . وعادت لتجلس على المقعد وقد ثلجت يداها . وجيء بمعتقل اخر لم يدخل الى الزنزانة ، ولكنه أخذ الى اقصى المركز ، كان شابا في هيئة طالب يبدو عليه الخوف . وفي الرواق كان يأخذ بذراعه شرطيان ، وتبعه آخران من الخلف . وعندما رفض أن يتحرك ضربوه على عنقه بالبندقية ، فأخذ دمه ينزف وسقط أرضا في شبه أغماءة . وجروه من ذراعيه الى الداخل . وكانت ايزابيلا تحس لحظتها بالالام مع انها اعتادت ألا تتألم حتى في أخرج المواقف . وانكأت على فسيفساء الجدار البارد وأغمضت عينيها ، وكان كسل الاتعاب التي تعانيتها قد أثقلت أجفانها .

وعندما جاء القبطان كان الليل قد أخذ في الانحدار الى العالم . وكان يرافق القبطان نصف دزينة من الرجال ، بعضهم كانوا مرتدين ثيابا مدنية ومسداستهم تحت قمصانهم . ووقفت ايزابيلا في أليسة عندما رأت الجميع يقفون محيين ومن جملتهم الرجلان اللذان كانا في الزنزانة . وعلى كل حال فقد كان أمامها الان الرجل الذي يمكنه أن يخبرها عما آل اليه زوجها . الا ان القبطان دخل الى مكتبه في رفقة عدد من أتباعه وأقفل الباب خلفه . وتمتمت ايزابيلا : « مهسا يكن ، ساكلم القبطان الان » . واقتربت من الجاويش وسألته في خجل عما اذا كان هذا الرجل هو القبطان ، فرد عليها بجفاف :

– نعم . ولكن يجب أن تنتظري .
فانتظرت ساعة أخرى . وسألت من جديد اذا كان بإمكانها أن تقابل القبطان . فقال لها الجاويش وهو ينظر الىها في سام : « انتظري ... » وطرق باب القبطان طرقات خفيفة وعاد ليقول لها :
– انه لا يستطيع أن يقابل أحدا يا سيدتي لان لديه أشغالا كثيرة ، وهو يقول بان تعودي اليه في يوم اخر .

أما ايزابيلا فقالت بانين :
– ولكنني في حاجة الى أن أكلمه . لن آخذ منه وقتا طويلا . أريد فقط أن يخبرني أين ذهب زوجي . فقد طلبه هذا الصباح ، فذهب اليه بعد الغداء لانه كان يرغب في أن يكلمه . ولهذا السبب أريد أن أقابله . ان زوجي لم يذهب الى عمله ولم يتلفن الي كما وعد . أخبره – أرجوك – بانني أريد أن أقابله .
كانت تتحدث بسرعة وقد امتلأت عينها بالدموع وتشنجت يداها . ثم أضافت : – أرجوك .